البلاغة السياسية*

وقوة الاستعارة

طارق النعمان

لقد ظل البشر، على مدار التاريخ، يُؤثِرون أن يحكموا من خلال الكلمات، حتى وإن كانت أحيانًا عنيفة، مُهدِّدة أو مُتوعِّدة، أو حتى مُرْعِبة على أن يحكموا تحت وطأة القيد أو السوط أو بواسطة السيف، أو المدفع، بقدر ما قد أخذ الحكام يدركون تدريجيًا أن الحكم بواسطة الكلمات أقل تكلفة بكثير من الحكم بواسطة الأسلحة، والقيود والسجون. وهو ما يعني في جانب منه أن اللغة والسلاح قد ظلا دومًا على متصل ببعضهما البعض من حيث كون كلاهما وسيلتين من وسائل الحكم والسيطرة، يتم في بعض الأحيان تبادل الأدوار فيما بينهما. أي أنه حين يفشل السلاح في السيطرة والحكم يتم دعمه بلطف أو عنف الكلمة أو بمزيج منهما، والعكس أيضًا قد يحدث. أي حين يفشل عنف أو لطف الكلمة أو كلاهما يتم دعمها بقوة السلاح أو استبدال السلاح بهما، وكثيرًا ما يمضيان معًا جنبًا إلى جنب يدعم أحدهما الآخر ويُعزِّزه. ولا شك أن وقائع الواقع والتاريخ تشهد على هذا المتصل على نحو صريحٍ وجلي.

وبالطبع فقد أخذت الحاجة للكلمة تتزايد كلما نحت الأنظمة السياسية إلى ممارسة المزيد من الديموقراطية، أي أنه بقدر ما تتزايد الممارسات الديموقراطية في المجتمعات بقدر ما تتزايد الحاجة إلى الإقناع؛ وبقدر ما تتزايد الحاجة إلى الإقناع، بقدر ما تتزايد الحاجة إلى القول البليغ والفعال في السيطرة والتوجيه وممارسة الحكم؛ وهنا، بالطبع، تتبدى الحاجة ملحة إلى أن توظِّف كل لغة ما يتوفر لديها من ترسانات وذخائر بلاغية فعَّالة.

---

*. هذا المقال هو مقدمتي لترجمتي لكتاب ’’السياسة الأخلاقية: كيف يُفكِّر الليبراليون والمُحَافِظون‘‘

ولا شك أنه في ظل اتساع مساحة المشاركة السياسية؛ ومن ثم اتساع إمكانية الترشح للقيادة قد أخذ مثل هذا الاتساع يفرض نوعًا من التنافس البلاغي، حيث يغدو كل مُرشَّح للقيادة راغبًا في إقناع الناخبين المحتملين، والجماهير بعامة بأنه المرشَّح الأجدر، ولا سبيل إلى ذلك لديه سوى عرض برنامجه وتحفيز هذا البرنامج بما يقنع الجماهير بقيمته من جهة وبإمكانية تنفيذه من جهة أخرى. ولا سبيل لتحقيق هذا إلا من خلال استخدام لغة يمكنها تمثيل الكيفية التي يتم بها إنجاز هذه الغاية وتحقيقها.

ومن ثم نجد هذا التزايد المتنامي في البحث عن خبراء الكتابة السياسية وتخطيط الحملات الانتخابية، حيث ينبغي أن تكون خطب القادة المحتملين أو المرشحين للقيادة مشحونة بقوى أفعال الكلام اللازمة لإنجاز أغراضها وأهدافها. وحتى بعد أن ينجح القادة يظل للخطابة والبلاغة السياسية دومًا دورهما في إعادة إنتاج اقتناع الجماهير بالحاكم، أو القائد أو الزعيم، ومن ثم تبدو الخطب السياسية في كثير من الأحيان وكأنها طقس أو شعيرة من طقوس وشعائر تجدد وتجديد الثقة والاقتناع، والوعود المعقودة أو العهود المُبرمة من قبل، أو التحول حتى عنها واستبدال غيرها بها؛ وهنا تتبدى قيمة البلاغة السياسية مقارنة بقيمتها في المجتمعات الاستبدادية والبطريركية التي تنحسر فيها هذه الإمكانية لتتركز في نطاق الحاكم الفرد الذي غالبًا ما لا تتم إزاحته من خلال أي عملية من العمليات الديموقراطية المبنية على شروط عادلة للترشح وشروط عادلة للاقتراع، وإنما من خلال استخدام مباشر للقوة أو نوع من التلويح بها يتم من خلاله إحلال الطرف الأكثر قوة محل الطرف المخلوع أو المقتول أو المتوفى.

إلا أنه على الرغم من هذا الاختلاف النوعي في طبيعة الممارسة السياسية في كل نوع من نوعي هذه المجتمعات، فإنه يظل أيضًا للخطابة والبلاغة دورهما حتى في تلك المجتمعات الاستبدادية والقمعية، وإن كانتا بالطبع تمارسان هذا الدور في ظل شروط مختلفة. ومن ثم وفق ملابسات ومواصفات وآليات مغايرة. ذلك أنه إذا كان كل من الخطابة والبلاغة السياسية في المجتمعات الديموقراطية يستهدف بالأساس

الإقناع على أسس تبدو أميل إلى العقلانية منها إلى الانفعالية، وإن كانت بالطبع لا تخلو قط في الكثير من الأحوال من بعض درجات الانفعالية وإثارة المشاعر، بحيث يمكن القول إنه غالبًا ما تحتل واجهةَ المشهد القيمُ العقلانية الإقناعية المبنية على أساس أن الاختيارات السياسية تتم تأسيسًا على، وانطلاقًا من نظرية الفعل العقلاني كنظرية حاكمة للممارسة السياسية، وتتراجع القيم الانفعالية والشعورية إلى الخلفية، مع الأخذ في الاعتبار أن درجات العقلانية والانفعالية تتفاوت من قائد إلى آخر، ومن خطاب إلى خطاب، لكن في المجمل يمكن القول إن الأمر يبقى على هذا النحو إذا ما قورن بالخطابة والبلاغة السياسية في المجتمعات غير الديموقراطية، إذ تتصدَّر القيم الانفعالية التي تتعدد تجلياتها، والتي غالبًا ما تخاطب ما هو غرائزي وعقائدي ورغبوي، واجهة المشهد أكثر مِمَّا تُخاطِب ما هو عقلاني أو منطقي، بما يجعل القيم العقلانية تتراجع إلى الخلفية، بل وربما ما تغيب تمامًا تلك القيم لصالح الانفعالية والإثارة.

ومن ثم يمكننا الحديث عن نوعين من حكم الكلمة، حكم تغلب عليه العقلانية والمنطقية في مقابل حكم تغلب عليه الانفعالية والإثارة، أو حتى تكاد تغيب عنه تمامًا تلك العقلانية، على هذا النحو الذي جعل عبارات مثل ’’خطب فارغة‘‘ أو ’’كلام خطب‘‘ عبارات متداولة بكثرة في مجتمعاتنا؛ بما يشير إلى خلو تلك الخطب من أي صورة من صور المصداقية.

بل إن المتأمل للخطابة السياسية في مجتمعاتنا يلاحظ أن الخطابة السياسية فيها تستدمج إلى حد بعيد في تكوينها الخطابة الاحتفالية؛ ذلك أنها تمزج في العديد من الحالات بين الخطابة السياسية والخطابة الاحتفالية؛ إذ كثيرًا ما تجمع ما بين مدح الذات وإطرائها، وهجاء وتوبيخ الآخرين المعارضين بدرجة عالية.

لقد أخذت الدراسات المعرفية تكشف لنا مدى تغلغل الاستعارة والكناية والمجاز في ممارساتنا الذهنية والفكرية، وكيف أنها تلازم خطاباتنا على تنوعها واختلافها وتباين مجالاتها بداية من خطابات الحياة اليومية الاعتيادية ووصولاً إلى خطاباتنا الفلسفية والعلمية.

ولا شك أن مجال السياسة والخِطاب السياسي هو واحد من أكثر المجالات تشغيلاً وتوظيفًا للاستعارة والمجاز والكناية، وسواها من التقنيات البلاغية الأخرى

كالتشبيهات والتمثيلات والكنايات التلطيفية، والتكرار بأشكاله المتعددة والمتنوعة، واستخدام الأضداد والتقابلات الخ هذه الترسانات البلاغية العديدة والعتيدة؛ والمتابع للخطابات السياسية يمكنه أن يلحظ بيسر أنه لا يكاد خطاب سياسي يخلو من حضور ما لهذه الأنواع البلاغية وسواها، خصوصًا الاستعارة والمجاز والكناية، والكناية التلطيفية، والصور النمطية الجاهزة وهو ما دفع اليوم في ظل ما أسفرت عنه الدراسات المعرفية للغة إلى إعادة ازدهار وتنامي دراسات البلاغة السياسية ودراسة خُطب الرؤساء والقادة، فضلا عن تحليل برامج الأحزاب، وجماعات الضغط، وخطابات بعض النواب في المجالس النيابية؛ خصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة.

وهكذا يستطيع المتابع لدراسات البلاغة السياسية، خصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، أن يرى بوضوح أنه لا يكاد يتولى رئيس، أو رئيس وزراء، حتى تبدأ ما يمكن أن ننعتها بمؤسسات البلاغة السياسية، وحتى قبل أن تنتهي فترة رئاسته الأولى، بتحليل خطاباته ورصد آلياته وطرائقه وأدواته في إقناع الجماهير والتأثير عليها، بما يُوفِّر لوسائل الإعلام بعض أدوات المقاومة التي يمكنها أن تمد بها الجماهير في مقاومتهم لإمكانيات التلاعب بعقولهم ومشاعرهم.

وهكذا يمكن القول أن الدراسات البلاغية السياسية وتحليل الخطاب السياسي قد أصبحا جزءًا لا يتجزأ من طبيعة الممارسات السياسية ذاتها في تلك المجتمعات. كما يمكن القول أيضًا أن مخاطبة الجماهير قد أصبحت تُشكِّل مجالا معرفيًا مستقلاً بذاته يُوظِّف العديد من العلوم والمعارف سواء على مستوى تحليل خطابات الخصوم أو تحليل الأحزاب والجماعات لخطاباتها الخاصة، وقياس مدى فعالية استراتيجيات بعينها أو فشلها، والاستفادة من تلك الدراسات في تصميم خطابات الرؤساء والقادة وفي صياغة برامج الأحزاب السياسية. فقد أصبحت علوم مثل علم اللغة وعلم البلاغة، وتحليل الخطاب، وعلم النفس الاجتماعي، والعلوم المعرفية، وعلوم الاتصال الجماهيري بما فيها قياسات الرأي العام جزءًا لا يتجزأ من أدوات وعمليات الكتابة السياسية بعامة وكتابة وصياغة خُطب الرؤساء والقادة، وصياغة برامج الأحزاب ومخاطبة الجماهير عمومًا. بل أصبحنا نجد كُتبًا ومجلدات كاملة إرشادية حول اللغة الأكثر فعالية، أو الكلمات التي تنجح على نحو ما نجد في هذا السفر الضخم لكاتب مثل فرانك لونتز، الذي يحمل هذا العنوان ’’الكلمات التي تنجح:

ليس ما تقوله وإنما ما يسمعه الناس‘‘ وهو واحد من تلك الكتب التي تحقق أعلى المبيعات، والذي يُقدِّم فيه مجموعة من القواعد والوصفات الإرشادية الاستراتيجية في مخاطبة الجماهير، مثل: البساطة، استخدام كلمات صغيرة: أحادية أو ثنائية المقطع، استخدام الإيجاز، استخدام جمل قصيرة، المصداقية ومطابقة القول للفعل والفعل للقول، قل ما تعنيه، ولتعن ما تقوله، الاستمرارية، والتكرار، والمواصلة، الجدة، طبقة الصوت وتأثيرها، التحدث بطموح يخاطب أعماق الجماهير وآمالهم ومخاوفهم وأحلامهم ومشاعرهم، حيث غالبًا ما تتضمَّن الكلمات الفعَّالة تعريفًا جديدًا لفكرة قديمة، تقديم صور حية وحيوية، ودور المكون البصري في التأثير، طرح سؤال حتى دون الجواب عليه، وترك الأمر للجمهور ليتولى هو الإجابة عنه بنفسه؛ بما يتيح إمكانية التشكيك في المنافس، تفسير السياق أو التأطير.

هذه إذاً هي القواعد العشر للتواصل الفعال، كما يراها لونتز من خلال العديد من الدراسات الإمبريقية على الخُطب والحملات السياسية للعديد من السياسيين. وهي كلها موجزة في كلمات مفردة: البساطة، والإيجاز، والمصداقية، والاستمرارية، والجِدة، والصوت، والطموح، والتصويرية، والتساؤل، وتفسير السياق أو التأطير.

بل نجده يُقدِّم قوائم بالكلمات الأكثر فعالية على المستوى الوجداني والنفسي للجماهير، وكيف يمكنها أن تنجح في خلق استجابات إيجابية للجماهير تجاه مستخدميها، فيرصد واحدًا وعشرين كلمة وعبارة يرى أنها الكلمات والعبارات الأكثر فعالية في القرن الواحد والعشرين بالنسبة للمتلقي الأمريكي، كلمات مثل: تخيَّل، بلا متاعب، أسلوب حياة، النتائج وروح القدرة على الفعل، الابتكار، التجديد والخلق، فعَّال وفعالية، الحق في، مستقل، السَّلام العقلي، الرخاء، الروحية، الأمان المالي، ثقافة كذا، مثل ثقافة الكراهية أو ثقافة الخوف الخ.

وفي ظل تنامي الاهتمام بالخطابات الأكثر فعالية وإقناعًا وتأثيرًا في الجماهير أصبحت للأحزاب مراكز دراسات أو منصات فكرية think tanks، جزء من وظائفها الأساسية هو تحليل الخطابات السياسية والبحث في أكثر المفردات والأساليب والاستراتيجيات تأثيرًا في الرأي العام، وما هي الطرائق الأكثر فعالية مع كل قضية يتم تناولها ويراد إقناع الجماهير بها، والتأثير عليها كي تتبنى وجهة نظر معينة فيها.

ومِمَّا يُساعِد على ذلك بالطبع هو ما تتمتع به هذه المجتمعات من حرية تداول المعلومات وسهولة الحصول على مثل هذه المواد، وهو الأمر المتعذر وغير المتاح في حالات كثيرة في مجتمعاتنا، إذ لا تُتاح خُطب بعض الرؤساء أو الحُكَّام بشكل ميسور إلا بعد موتهم، على نحو ما حدث مع كل من عبد الناصر والسادات، في حين أن بعضهم، مثل الرئيس محمد نجيب لا نكاد نجد خطاباته التي يُذكَر أنَّها كانت تُلهِب حماس الجماهير، مثلما لم تُجْمَع أيضًا خُطَب الرئيس المصري الأسبق محمد حسني مبارك، ولا توجد سوى خطب متفرقة هنا وهناك وعلى من يريد دراساتها أن يتجشم عناء جمع ما يتاح له أولاً لكيما يقوم بعد ذلك بالدراسة. وهو ما يستنفد، بالطبع، طاقات وجهود الباحث التي يفترض أن تُكرَّس لما هو أمس وأجدى، ناهينا عن أن البعض الآخر لا تسمح أنظمتهم أصلاً بممارسة مثل هذه النوعية من الدراسات، ما لم تكن في نطاق الثناء والمدح والتقريظ.

وبالطبع فإن أسباب هذا لدينا واضحة مقارنة بما يحدث في الغرب، ذلك أن طبيعة النُّظُم السياسية في المجتمعات الديموقراطية، بغض النظر عن مدى تلاعب هذه النظم بعقول مواطنيها من خلال خطاباتها السياسية، تظل محكومة، أولاً وأخيرًا، في اتخاذ القرار بقبول أو رفض مواطنيها لقراراتها وبصناديق الاقتراع التي لا تخضع للتبديل أو التغيير، أو الحذف والإضافة. ومن ثم يكون للكلمة واختيارها وصياغتها وترتيبها وتنضيدها كل هذا الدور الخطير الذي ينبع في حقيقته من قيمة المواطن كمواطن في دول المواطنة والمواطنين، وهو ما يُفسِّر غياب مثل هذا الدور في دول الرَّعِيَّة والرَّعَايَا، وهو أيضًا المسئول عن شيوع عبارات من قبيل "كلام خُطُب" و"خَطَابة فارغة" و"كلام جرايد"، و"كلام للاستهلاك المحلي" الخ تلك العبارات الدالة على مجانية الكلمة ومجانية المواطن، إن كان هناك مثل هذا الكائن الذي يمكن أن يُطْلَق عليه أصلاً وصف المواطن. وبالطبع يمكن القول، إن هذا الطرح كانت له لحظات استثنائية في التاريخ المصري على وجه الخصوص، مع بعض القادة مثل مصطفى كامل وسعد زغلول في ظل لحظات المد الوطني والثوري ومواجهة الاحتلال، ثم بعد ذلك مع عبد الناصر والسادات لا لأن نظاميهما كانا نظامين ديموقراطيين، أو لأن نظاميهما كانا يعتدان بدور المواطنين في اتخاذ القرار، ولكن نظرًا للطبيعة الأيديولوجية للمرحلة، وثقافة المواجهة مع الغرب وإسرائيل التي حكمت كل مرحلة حكم عبد الناصر، وجزءًا من مرحلة حكم السادات واستخدام

الجماهير في كلتا المرحلتين كخلفية جمالية وتجميلية في مواجهة الغرب، وهو ما نجح فيه عبد الناصر بشكل كاسح ونجح فيه السادات بشكل نسبي وجزئي.

وبالطبع، وكما تكشف كل هذه الدراسات الغربية للخُطب السياسية ولبرامج الأحزاب ولكل ما يقع في نطاق الخطاب الجماهيري، تحتل الاستعارة على وجه الخصوص واجهة المشهد في الخطاب السياسي، وتُمثِّل أداة شديدة الفعالية سواء في الإقناع بأفكار وقيم بعينها أو في التلاعب بعقول ومشاعر الجماهير.

إذ إنها تُمثِّل مُكوِّنًا فعَّالا من مكونات قوة البلاغة، وهي القوة التي حكم ويحكم بها السياسيون العالم منذ أن أخذتْ تتشكَّل الكيانات السياسية على اختلافها وحتى يومنا هذا. من هنا تنبع أهمية معرفة آليات البلاغة في الخطاب السياسي على وجه التحديد ذلك أن الكشف عن تلك الآليات يعني الكشف عن كيف يتم التحكم فينا ويتم توجيهنا والتلاعب بنا كمحكومين.

فإلى أي مدى تكون الجماهير واعية أو منتبهة لنوايا الخطيب في استمالتها، وبعدم براءة اختياراته، وهل تعي نواياه ومقاصده نحو توجيهها وجهة بعينها، أم أنها تكون محمولة على أجنحة الكلمات لتُلقي بها إلى حيث تشاء؟ إن الجواب على مثل هذا السؤال ليس بالأمر السهل بالتأكيد وتتحكَّم فيه مجموعة من العوامل والمتغيرات المُرَكَّبَة منها نوعية الجمهور ومستوى وعيه الثقافي والسياسي على حد سواء، فضلاً عن مدى وعيه بطبيعة الموضوعات المُتحَدَّث عنها وعلاقة الجمهور بالمتكلم من حيث السمعة ومستوى الثقة أو عدم الثقة فيه، مدى القبول والحب أو الرفض والكُرْه الخ. إذ تُعَد كلها متغيرات تُؤثِّر في مدى الاستجابة تجاه ما يقوله المتكلم وتأثيره في المتلقين ومدى اقتناعهم أو انفعالهم به. وبالطبع فإنه بقدر ما تفتقر الجماهير إلى الوعي والثقافة السياسية بقدر ما يتزايد خطر التلاعب بعقولهم ومشاعرهم على حد سواء. ولا شك أن ثمة فارقًا كبيرًا ما بين الإقناع المبني على مقدمات عقلانية تتيح المقارنة والموازنة بين الخيارات والبدائل، وبين التلاعب الذي غالبًا ما ينطلق من استثارة الجوانب العاطفية والوجدانية واستخدام الصور الحدية والمتقابلة المبنية على آليات الشيطنة والتطويب. ذلك أنه في الإقناع، وكما يذهب فان دايك، يكون المتحاورون أحرارًا في أن يعتقدوا أو يفعلوا على النحو الذي يُرضيهم، اعتمادًا على إذا ما كانوا يقبلون أو لا يقبلون حُجج من يُقنعهم، بينما يُسنَد نمطيًا دورٌ أكثرُ سلبية للمتلقين في حالة التلاعب: إنهم يكونون ضحايا التلاعب. إن

هذه النتيجة السلبية للخطاب التلاعبي تقع نمطيًا حين يكون المتلقون غير قادرين على أن يفهموا النوايا الحقيقية أو أن يروا العواقب الكاملة للمعتقدات أو الأفعال التي يدافع عنها المُتلاعِب. وهذا يمكن أن يكون هو الحال حين يفتقر المتلقون إلى المعرفة المُحدَّدة التي يمكن أن تكون مُستخدَمة لتقاوم التلاعب.

إن الاستعارة في مجال السياسة يمكن أن تكون نِعْمَة أو نِقْمَة، أو بعبارة أخرى إنها سلاح ذو حدين؛ إذ إنها حين تُقبل من الجماهير يمكن أن تفتح أفقًا لتفسير موقف أو تبرير قرار أو سياسة ما، لكنها حين تُرفَض تتحوَّل إلى نِقْمَة، إذ تنقلب إلى أداة لنقض منطق مستخدمها من خلالها هي ذاتها. وهنا ينقلب السحر على الساحر.
ولعله يمكننا هنا أن نتذكَّر استخدام أنور السادات لاستعارة ''الضباب السياسي''، التي استخدمها ليُبرِّر تأجيل خوض الحرب، والنُّكْتَة السَّاخِرة التي ظهرت مباشرة فور خِطابه هذا، عن العربجي والحمار:

''واحد عربجي واقف على كوبري قصر النيل ومعطَّل الكوبري جا له الظابط قال له إنت أيه اللي مُوقَفَك هنا يلا امشي من هنا، قال له الضباب، الظابط بص حواليه ما لاقاش ضباب ولا حاجه، قال له أمَّال فين الضباب دوَّت؟، قال له، اسأل، اسأل الحمار!'' (فيلم أيام السادات، إخراج محمد خان)

لقد تمت معاقبة السادات فوريًا على فشله في استخدام الاستعارة من خلال تلك النكتة التي استخدمت استعارة أخرى شديدة القسوة في وصفها الساخر منه.

بل إن استعارة الضباب هذه كانت إحدى دوافع الطلاب للتظاهر عام 1972، إذ أشعل خطاب الضَّبَاب الذي كان يتعلَّل بالحرب الهندية الباكستانية حالة من حالات الغضب لدى الطلبة، وسرعان ما جاء الرد عليه في مؤتمر للطلبة في 15 يناير 1972، حيث تم توزيع آلاف المنشورات وتعليق العديد من صحف الحائط التي تنتقد الخطاب، وترفض استمرار حالة اللا سلم واللا حرب، وتُطالب بخوض حرب تحرير شعبية شاملة لاستعادة الأراضي المحتلة بالقوة. ولم تتوقف المطالب عند هذا الحد، بل تطرقت إلى الديمقراطية، وتشجيع حريَّة الصحافة.

إلا أن الاستعارات السياسية الفعَّالة كثيرًا ما تتحوَّل أيضًا إلى خلق وتشكيل معتقدات وأساطير مستقرة، وتكريس صور نمطية سائدة، ولنتذكر استعارات من قبيل استعارة ''إمبراطورية الشر''، التي كانت تُطلق على الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه

وتفككه، ثم تم تعديلها بعد ذلك مع جورج بوش إلى ''محور الشر''. وهي عبارة تردَّدتْ أولاً على لسان الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في خطاب ألقاه بتاريخ 29 يناير 2002 ليصف به حكومات كل من: العراق، وإيران، وكوريا الشمالية. وقد استخدم هذه العبارة بحسب ما ذكر لأنه يعتقد بأن تلك الدول تدعم الإرهاب وتسعى لشراء أسلحة الدمار الشامل. ويرى الكثيرون بأن فكرة بوش هذه هي التي قادته نحو ما يسمى ''بالحرب على الإرهاب''.

هكذا تُمثِّل الاستعارة إحدى الوسائل البلاغية الفعَّالة والنَّاجِعَة بالنسبة للسياسيين لكيما يقدموا حُججًا قوية ومتماسكة من خلال استخدام ما هو معروف ومفهوم ومألوف نسبيًا وتطبيقه على موضوعات ومواقف جديدة نسبيًا أو غير مفهومة أو معروفة بما يكفي بالنسبة للجماهير، وفي الوقت ذاته يجب إقناعهم بها من وجهة نظر السياسي (المتحدث). وهنا تأتي الاستعارة لتتوسَّط ما بين المتحدث وجمهوره ولتكون الوسيط الذي ينقل الجمهور من حالة عدم المعرفة إلى حالة المعرفة، ومن حالة عدم الوضوح إلى حالة من الوضوح، ومن حالة عدم الاقتناع إلى درجة قد تزيد أو تقل من الاقتناع وفقًا لقوة فعل الاستعارة ومدى توافقها أو عدم توافقها.

ولا شك أن استعارة الأسرة قد ظلت تُمثِّل واحدة من أقوى الاستعارات السياسية تأثيرًا في العديد من المجتمعات والثقافات، بما يجعلها تبدو وكأنها استعارة كونية أو شبه كونية في مجال الخطاب السياسي. وبما أن كتاب السياسة الأخلاقية هذا يدور كله حول هذه الاستعارة عبر نموذجيها المحوريين، نموذج **أسرة الأب الصارم**، ونموذج **أسرة الأب الراعي** أو **الوالدية الراعية**، لم أجد داعيًا لتكرار بعض ما في الكِتاب في هذه المقدمة، إذ يكفي القارئ ما عليه الكتاب من طول؛ إلا أنه وعلى الرغم من هذا الطول، فإن الكِتاب يُقدِّم درسًا بالغ الإمتاع في آليات اشتغال الاستعارات السياسية وتوظيفها للتلاعب بالعقول والنفوس وكيف أن الجماهير لا تُصوِّت لصالح مصالحها دومًا بقدر ما تُصوِّت لصالح معتقداتها وقيمها.

إن قيمة كتاب مثل **السياسة الأخلاقية** لجورج ليكوف تتجلى في جزء كبير منها في أنه يكشف لنا كيف تتغلغل القيم الانفعالية حتى في صُلْب قيم العقلانية من خلال توظيف اللغويات والدلاليات المعرفية في قراءة كل من الخطاب السياسي للجمهوريين والديموقراطيين أو للمحافظين والليبراليين، بقدر ما يكشف لنا أسباب

تفوق الجمهوريين على الديموقراطيين على مدار العقود الخمسة الماضية، واللافت أن أحد أسباب هذا التفوق تعود في جانب كبير منها إلى ما يندرج في نطاق البلاغة وألعابها، أي إلى الكيفيات التي يستخدم بها كل من الجمهوريين والديموقراطيين اللغة.